المشرق

دير ميلاد السيدة في راس بعلبك

نبذة تاريخيَّة للاب يسوثاوس جق احد تلامذة القديسة حنة (الصلاحية) في القدس الشريف

لقد لسعدنا الحظ في هذه الأيام الاخيرة على ان نحظى باخبار دير حقير من اقدم الاديرة في بلاد سوريَّة كان في ما سلف من الاعصار ذا شأن عظيم لسبب موقعهِ وعدد السكان المجاورين لهُ . ولقد زاد رغبتنا في البحث عن هذا المقام اطلاعنا على ما سطرهُ عنهُ حضرة الاب بولس باسل في مجلة اصداء الشرق الفرنسوية الغراء (١ وعلى ما يظهر ان حضرتهُ قد اسندَ ما قالهُ في هذا الشأن الى تواريخ قديمة صادقة كتبها شهود العين خلفاً عن سلف وبقيت مدفونةً في مكاتب الرهبانية القديمة العهد فافرغنا الجهدَ والجهيد للحصول على تلك التواريخ الثمينة وبعد اتعاب جسيمة حظينا بنسخةٍ منها لا غير نُقلت عن الاصل فاقبلنا على درسها وعليها اسندنا روايتنا بعد ما زرنا الدير المذكور وتحقَّقنا عياناً صحَّة ما سمعناهُ وقرأناهُ واليك نتيجة هذه الابحاث

١ً ـ تاريخ الدير

ان هذا الدير لقديم العهد لا يُعرف بالتدقيق زمن تاريخهِ فان صاحبهُ قد انشأهُ على اسم ميلاد السيدة البتول عليها السلام . والشائع انهُ شُيد سنة ١١١١ مسيحيَّة وليس الامر مستبعداً ومما يساعد على معرفة تاريخهِ قطعة رخامٍ كانت سابقاً فوق باب الكنيسة العتيقة قد نقلها رئيس الدير فوضعها لمام عتبة باب الكنيسة الجديدة منذ

(١ Echos d'Orient, VI, 1903, pp. 175 et 243-244

ثلاث سنين لعدم معرفته بصحتها وليس عليها سوى اربعة خطوط أفقية هكذا

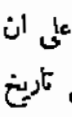

محفورة في الرخام يقيس كل خطّ منها قدر عشرة سنتيمترات . على ان هذا الاثر وحدهُ لا يجدينا نفعاً في هذا الشأن ولا يدلُّنا صريحاً على تاريخ بناء هذا الدير ومن ثم اخذنا نبحث اولاً عن كنيسة الدير وما تحتويهِ من الصور القديمة العهد ثم اعقبنا ذلك بفحص بنائهِ وهيئة عمارهِ وموقعهِ واخيرًا ألقينا سؤالات واضحة على اهالي الراس ومن يجاورهم بهذا الخصوص فاكتسبنا منهم جزءًا من الحقيقة لا غير واتصلنا الى هذه النتيجة وهي انهُ من المحتمل ان يكون هذا الدير قد نشأ في اوائل القرن الثاني عشر للمسيح وان الخطوط الاربعة ارقامٌ تاريخيَّة يراد بها سنة ١١١١

وقد لحظنا في زيارتنا للكنيسة انها مستجدَّة لا تبلغ من القدمية اكثر من ستين سنة الّا انهُ فيها شيء من الصور العتيقة التي ظننَّا ان لنا فيها فائدة ولكن خاب املنا اذ لم نجد فيها ولا تاريخاً واحدًا غير انهُ بينما كنَّا في هذا البحث اذ دنا منَّا احد سكان الراس الذي لم يزل خولياً على اوقاف الرهبنة وقال: انهُ منذ خمس او ست سنوات جاءنا احد زوار الافرنج فدخل الكنيسة صحبة الرئيس وزارها واراهُ الاب الرئيس كل ما تحويهِ الكنيسة من الصور القديمة وما شاكل فلم يعجبهُ فيها شيء سوى صورة واحدة عتيقة كانت تمثل احد الشهداء فتأملها كثيرًا وفحصها ودقَّق في فحصها الى ان طلبها من الرئيس واعطاهُ فيها ليرتين فلم يسمح بها وكان الزائر يبذل جهدهُ في تزهيدها . اخيرًا سألهُ الرئيس عن قدميتها فاجابهُ: « ان هذه الصورة حسنة التصوير لا يُطبع مثلها الآن فبلا شك ان لها نيفاً وثمانمائة سنة على ما يظهر لي » حينئذٍ انتبه لقيمتها الرئيس وطلب منهُ عشرين ليرة افرنسيَّة فلم يرضَ الزائر الّا انا بعد شهرين او ثلاثة رأينا ان الصورة فُقدت ولم نعرف بابة طريقة اختُلست من الكنيسة فسألنا عنها الاب الرئيس فكان جوابهُ متظاهرًا بالارتياب فعلمنا حينئذٍ ان الزائر ابتاعها بثمن جزيل . اما الرئيس فلم يزل يتكر الامر ولكن ليس خفيٌّ الّا سيظهر ولا مكتوم الّا سيُعلن ويُعلَم »

فان كان هذا الامرُ كما اخبر هذا الراويّ وان كانت هذه الصورة قديمة العهد وقدميتها تنيفُ عن الثمانمائة سنة حسبما نطقَ عنها الزائر الافرنجي فبلا شك ان قطعة الرخام هذه تجدينا نفعاً عظيماً فتكون الخطوط المحفورة عليها تاريخاً صحيحاً يُقصد بهِ سنة ١١١١ ومن ثمَّ يكون هذا الدير ذا اهمية واعتبار جزيل في شأن التاريخ

واننا لا نتعجب من قدمية هذا حدها لاننا قرأنا في كتب المؤرخين اخبار ادبرة عديدة كانت مجاورة لهذا الدير الرأسي وازهرت في القرن الثاني عشر كدير القديس مارون الناسك المنعوت في صخر عظيم بقرب نهر العاصي. ثم اننا لا نجهل ما اخبره حضرة الاب بولس باسل في مجلة اصداء الشرق (١ عن دير سيدة البلند حذاء طرابلس الشام الذي شُيّد في القرن الثاني عشر كما تفضل الاب المذكور وهو لم يزل الى يومنا هذا معروفاً فينتج من ذلك كله ان في القرن الثاني عشر للمسيح كان في الشرق اديرةٌ عديدة وخصوصاً في الاراضي المجاورة لنهر العاصي وانهُ لمن المحتمل ان دير الرأس يكون ابتدأ كما تُنبئنا قطعة الرخام هذه وانَّ الارقام المدوَّنة عليها هي تاريخ نشأته وعلى كلّ حال نؤملُ من التفات قرّاء المشرق الاغر ان يزيدونا علماً اذا وقفوا على معلومات جديدة في هذا الصدد (٢

٣ تبعيتهُ للرهبانية الشويرية

فترى ان ما نعلمهُ عن هذا الدير في القرون السالفة هو يسيرٌ وقد اقتبسناهُ من تواريخ قديمة اسعدنا الحظ على الفوز بها كما سبق القول غير انها لا تخبرنا شيئاً عن احواله منذ انشائه حتى الجيل الثامن عشر. وما لا ريب فيه ان دير السيدة كان بيد الروم الارثوذكس منذ زمان لا يعرف لهُ مبدأ وان تلك البلاد المجاورة كانت تابعة لمطرانهم في حمص وكان اسم هذا المطران في اوائل القرن الثامن عشر فضُّول وكان اسقفاً غيوراً على الايمان الكاثوليكي وفي عهده انتشرت الرهبانية الشويرية في جبل لبنان وفاحت من ابنائها عُطور التقوى والغيرة على النفوس مع الصبر على الشدائد ولذا كان يطلبهم الاساقفة المجاورون ليعظوا في ابرشياتهم ويرشدوا النفوس الى قواعد الايمان المستقيم وهاك ما تقرأهُ في التواريخ التي حظينا بها :

في سنة ١٧٢١ ارسل اهل قرية راس بعلبك الى الرئيس العام (الخوري نيكفوروس) يطلبون منهُ كاهناً كارزاً لكي يرشدهم في حقائق الايمان الكاثوليكي الذي سموهُ من الخوري ثاودوروس (اللدّي) اذ كان عندهم فارسل لهم الرئيس الخوري مكسيموس (حكيم) الذي ذهب وكرز وعلّم حتى انهُ شاع خبرهُ في تلك البلاد كلها فارسل مطران حمص فضول يستدعيهِ الى تعليم

---

١) Echos d'Orient, VI, p. 75-76 اطلب ايضاً المشرق (٥ : ١١٣ و ٩ : ٦٠٦)

٢) ومما اطّلع عليهِ حضرة الاب لامنس في هذا الدير وهو يدلُّ على قدميتهِ ختمٌ قديم كان يمثّل صورة العذراء وحول دائرتهِ كتابة منقوشة باليونانية والسريانية (Notes sur l'Emésène, 6 et 69)

رعيته فذهب وعلّم وكرز عدّة ايام ومنذ ذاك الحين تأسس هناك الايمان الكاثوليكي حتى الآن . ثم طلبهُ ايضاً اهل بعلبك فذهب اليهم وكرز وعلّم واثمر تعليمهُ في تلك النواحي جدًّا ولذلك طلبوا منهُ ان يقيم عندهم ويبني دير السيدة الكائن في قرية الراس ويشركهُ مع رهبنتنا اما هو فلم يطاوعهم وقتئذٍ بل وعدهم واياهم الى وقتٍ آخر »

وجاء في محلٍ آخر ما حرفهُ :

« ثم ان الاب الحوري ثاودوروس خرج من حلب في اواخر ايار ١٧٢٢ عائدًا للدير (دير مار يوحنا الشوير) فامرهُ اثناسيوس (البطريرك) ان يجمع لهُ نوريّة قرية راس بعلبك فمرَّ على حماة وحمص وانذرَ اهلها بالايمان الكاثوليكي ولما حصل في قرية الراس ارتمى عليهِ اهلها مع مشايخها وكهنتها وشعبها بان يتسلم منهم دير السيدة الذي كانوا قبل ذلك اعرضوهُ على الحوري مكسيموس كما ذُكر امَّا هو فلم يُطهم اقرارًا بذلك من دون ارادة الرئيس العام وجمع الرهبان »

فممَّا يظهرُ لنا من تصفُّح الاسطر السابقة ان هذا الدير الرأسي لم يكن مختصًّا باحدٍ من اهل الاكليروس حتى ولا بجمعية رهبانية إذ لم يوجد رهبنات في تلك الايام بل كانت اديرة بلادنا في ذلك العصر بيد الشايخ والاعيان كما روى حضرة الاب بولس باسل (١ وكانوا يهبونها لمن يشاؤون او يبيعونها بثمنٍ بخس ولذلك نرى مشايخ الراس راغبين ومجتهدين في ايهاب دير السيدة للرهبان الشويريين بدون رأي اسقفهم او بطريركهم الارثوذكسيَّين كأنهُ ليس لاولئك الرؤساء حقٌّ على الدير ولا على الرئيس او الكهنة او الرهبان القاطنين فيهِ . وممَّا يتبيَّن لنا ايضاً ان هذا الدير كان خاصة اهل قرية الراس قاطبةً وان رئيس الدير لم يكن الَّا وكيلًا لهم على الدير وعلى ارزاقهِ وعقاراتهِ فكان يستلم الدير وسلطة الرئاسة من مشايخ الراس واهاليها وذلك ليس ببعيدٍ في ذلك العصر فان حضرة الاب بولس باسل يخبرنا في المجلة المذكورة (٢ ان الامر نفسهُ جرى في محلاتٍ أُخرى كدير النبي اشعيا ودير مار الياس الحيدثة الخ وان ذلك كان جاريًا بالعادة غير ان دير السيدة قد وُهب اخيرًا الى الرهبانية الشويرية الحلبية وهو لم يزل بيدها الى يومنا هذا كما يُعلمنا سياق التاريخ

« فلمَّا ورد الحوري (ثاودوروس الى دير مار يوحنا) خاطب الرئيس والمدبرين (بشأن دير السيدة في الراس) فتصعَّب الامر عليهم لسبب بعض اغراض هناك . وفيما هم بالمذاكرة اذ ورد من قرية الراس كاهنان وهما الحوري حنا والحوري يوسف ورئيس الدير وهو الحاج ابراهيم ابن هلال

١) راجع مجلة اصداء الشرق Echos d'Orient, VII, p. 356

٢) فيها (Ib. VII, p. 205)

الشامي وبعض عامّة القرية ومعهُ مكتوب من صاحب بلادهم ومكتوب من مشايخهم خطاباً حاضرة الرئيس بان يسلّم الدير ويرسل لهُ رهائناً ويكون آمناً من كل وجهٍ . فلم يرضخ لقولهم فارغوا عليهِ وطلبوا ان يقبل ملتمسهم بحثٍ شديد سيما رئيس الدير الذي كان فيهِ فانهُ اصرف جهدهُ بالزامهِ ومكث ثمانية ايام مع جماعتهِ لهذا الغرض مظهراً انهُ يريد ان يسلم الدير طوعاً واختياراً حذراً من انهُ يموت بتتهٍ ولا يوجد عندهُ كاهنٌ لانهُ لم يكن عندهُ احدٌ بل كان يستأجر الكهنة لكيما يقدسوا لهُ في الدير . وكان يُري ان قصدهُ الدخول في قانونتا وان يتضوي تحت الطاعة السيدة وكل هذه المظاهر انما كانت منهُ ظاهراً لا باطناً لانهُ لم يكن مجيئهُ الى الدير اختياراً منهُ بل إذ طردهُ اهل قرية الراس وارسلوا وراءه الرهبان القانونيين لكي يسلمهم الدير سبق بالاحتيال واظهرَ الرضى فيما لا بُدَّ منهُ على انهُ ان كان ثبت الامر فيكون هو الساعي بهِ وان لم يثبت فيكون قد بلغ مناه بالاقامة في الدير لانهُ كان يصعّب الامور على الرهبان لكيما يستقيلوا بل ان اهالي الراس اشتدوا واسندوا الامرَ الى الذمة قائلين : نحن نريد تسلمكم الدير لننتفع بالتعليم والوعظ فان كنتم لا تجيبونا بما نرجوهُ فاتنا نطالبكم امام الله بتخلفكم عنّا

فإذ رأى الرئيس الحوري نيكيفوروس اشتدادهم وشدَّة الحاحهم اتَّفقَ رأيهُ مع رأي المدبرين الاربعة ان يتسلموا الدير الى زمانٍ بعد ان يجرّبوا المكان ويختبروا الحيرة فلذلك انفذوا من قبلهم كاهنَين وراهباً وارسلوا يشترطوا على اهالي القرية شروطاً : اوّلاً ان لا يكون على الدير مال . ثانياً ان لا ينتفع المشايخ ولا يتداخلوا في قبول الرهبان وطردهم . ثالثاً ان ترفع اليادر من تجاه باب الدير . رابعاً ان تمنع النساء من الدخول الى الدير . خامساً ان لا يكون نزول الرهبان الغرباء اهل الدورات في الدير . سادساً ان لا تقيم الغرباء والفقراء في الدير بل في الضيعة . سابعاً ان لا يجري قلم على الدير بشيء جديد . ثامناً ان تكون للرهبان الحماية مما يأتي من المضادين . تاسعاً ان لا يعترضنا احدٌ في امور قانونتا

فتوجه الرهبان المرسلين من قبَل الرئيس وهم الاب الحوري نيقولاوس والحوري عبد المسيح والاخ برثانيوس الشامي ويصحبهم الراهب المذكور وكهنة الراس ومن معهم فما بعدوا عن الدير قليلاً الاّ وقد تغيّر رئيس الدير القديم وظهرَ منهُ ان ما كان ليس باختيارهِ بل قسراً لانهُ ليس خفيٌّ الاّ وسيظهر ومن حركات المرء وسكناتهِ يبيّن الذي يخفيهِ منهُ بما ينحو . فتحققَ الرهبان غشَّهُ ولكن كتموهُ تحت طي التدبير لكي يأخذوهُ بالتداري لا بالسيف محبّين إصلاحهُ وخيرهُ . فاذ حصلوا في بعلبك اظهر الحنق وشاجر المتقدم في الرهبان على انهُ سمعتُ ان بعضكم قال عني بانهُ تركت عن الرئاسة . واظهرَ غيظاً عظيماً فداروهُ وترضّوهُ حتى قرية الراس فإذ وصلوا اليها اعرضوا مكتوب الرئيس والاخوة على المشايخ والشروطَ المذكورة . فقال كلهم : سمعاً وطاعةً . وان اردتم اكثر من هذا فاشترطوا . اجابوهم : لا . انما نروم هذا فقط

فلذ رأى الرئيس القديم ثبات الشروط تداخلهُ الندم . ثم اخذ يشغب اهل القرية على الاخوة لكي يطردوهم فاذ لم يمكنهُ ذلك ارسل الى الرئيس العام يشتكي عليهم ويتظلّم منهم على انهم اوقعوا الفتنة وكادت النار تصلى . وكل هذا مكرٌ منهُ لكي يجيل الرئيس وتكبر الاوهام عليهِ . اما الرئيس فما اهانتهُ هذه الشؤون لكنهُ دبّر تدبيراً حسناً فارسل الى الثلاثة الرهبان الذين هناك يأمرهم

بالمجيء صراحاً وبما يرونهُ صواباً بينَ ان يأتوا او يمكثوا سراً على انكم اعزموا على المجيء فان تعلق بكم اهل القرية فيكون حقاً خاطرهم معكم ويتمكّن اشتراطنا وان لم يتصبوكم على المكث هناك فيكون لا مرام لهم فيكم فتأتوا الى ديركم

فلمّا وصلَ امرُ الرئيس واطّلعت عليهِ مشايخ القرية وكهنتها تعلقوا بالرهبان وطردوا الرئيس القديم لانهُ لم يُرِد ان يقيم معهم كاحدهم . فلمّا فرغت كفّاهُ من الدير مضى الى الشام وكان يومئذٍ هناك مطران باتياس وكيلاً من قبل البطريرك اثناسيوس . . . فشكى امرهُ الى المطران المذكور فارسل الى الرهبان بأمرهم بالرجوع الى ديرهم او فليكونوا ستوعين . فامتنعوا عن التقديس من اجل الشك ستة وعشرين يوماً الى ان اخذوا خاطرهُ فمكثوا حينئذٍ هناك وعملوا في الدير بعض اصلاحات ومكثوا القانون مع الشروط المذكورة آنفاً »

ولقد كانت هذه الشروط كلها ضرورية يومئذٍ اذ انهُ بدونها لم تتمكّن الرهبان من حفظ القانون الرهباني ولقد شاهدنا عياناً انها مصونة باجمعها الى يومنا هذا لسبب تعلّق الاهالي بالرهبان وتعليمهم ووعظهم وخاصةً لوفور عبادتهم نحو السيدة صاحبة هذا المقام المبارك فانهم يكرمونها اكراماً جزيلاً ويقدّمون لها النذورات النفيسة ولا يحلفون الّا باسمها الشريف وكلما يسألونهُ باسمها ينالونهُ لحرارة ايمانهم . وقد اخبرونا كثيراً من الكرامات والعجائب العديدة التي تجترحها السيدة غالباً لاظهار المسلوبات وخزي اللصوص وقصاص كل من يحلف زوراً في مقامها المقدس بالحال والسرعة واو اردنا اظهار تلك الخوارق كلها لضاق بنا المجال غير اننا نكتفي بحادثتين جرَتا في تلك السنين الغير البعيدة نفعاً للقرّاء الكرام فنقول :

ان لاهالي الراس عادةً محمودة جارية الى يومنا هذا وهي ان يبيّتوا قطعانهم في صيرة الدير ليلة عيد انتقال السيدة في ١٥ آب وعند الصباح يقتبلون الاسرار الخلاصيّة ثم يُخرجون قطعانهم من باب الكنيسة لكي تتبارك من السيدة والعنزةُ التي تخرجُ آخر الجميع تبقى في الدير هبةً للسيدة . ولكثرة النذورات في تلك الايام تكثر اللصوص ففي احد الليالي قدم واحدٌ منهم واخذ سبع غنمات من التي للسيدة وخرج من باب الدير وولّى هارباً فمشى الليل كلهُ بخفةٍ لا مزيد عليها سائقاً امامهُ تلك الغنمات غير انهُ لما اصبح الصباح رأى انهُ لم يزل بعدُ امام باب الدير فتدم على فعلتهِ هذه القبيحة واعترف بذنبهِ للرئيس واعتاد كل سنة ان يقدم للسيدة عنزتين وكان متوالياً

اما الحادثة الثانية فكانت بشأن حلفٍ كاذب سرق شابٌّ بعض الدراهم لاحد الفقراء من قرية الراس فاحسَّ بهِ هذا فأنكر وعاتى الحق على الحلف . فطلب منهُ

الحلف على السيدة فقبل الشاب وأتى الكنيسة وفي قصده ان يحلف زورًا . فدخل باب الكنيسة ووضع يدهُ اليسنى على جرن الماء المقدس وتأهب لإبراز القسم . فيا للعجب التصقت يدهُ بالجرن من ساعتها واستمرَّ على تلك الحال الى ان رجع الى ذاته واعترف بالمسلوب واظهره لغريمه فحلَّتهُ السيدة عليها السلام واعترف وخرج تائبًا

واننا لا نرضى بذكر تلك الكرامات الوجيزة بل في نيَّتنا ان ننشر في مستقبل الايام كل الآيات والعجائب التي تصنعها امُّ المخلص في تلك البلاد الحقيرة بين المسيحيين الأميِّين منذ اجيال متعدِّدة وفي ظننا الضعيف انهُ لولا تلك العجائب العديدة اليوميَّة لمَّا كانت الديانة الكاثوليكيَّة ثبتت ونمت في تلك الجهات البعيدة وخاصةً لسبب غلظة اهلها . واننا شاهدنا ذلك عيانًا ورأينا سذاجتهم وانتعش قلبنا من تقواهم وعبادتهم نحو السيدة شفيعتهم

٣ وصف بنائه

ولنوردنَّ الآن لمحةً عن بناء هذا الدير فنقول ان موقع دير السيدة هذا في اواخر قرية الراس بمعزلٍ عن المنازل المجاورة وهو مربَّعٌ مستطيل يقيس طولهُ نيِّفًا وثلاثين مترًا وعرضهُ لا يكاد يتجاوز عشرين مترًا وكان فيما سلف من الاعوام ديرًا معتبرًا في الرهبنة الشويرية يسكنهُ رهبان ليسوا بقليلين خاصةً في اوائل الجيل الثامن عشر غير انهُ منذ سنة ١٨٢٩ حين تمت القسمة بين البلديين والحلبيين بقي هذا الدير بيد هؤلاء ولقلَّة الرهبان حينئذٍ استمرَّ الدير فارغًا الَّا ان الرهبانيَّة اقامت لهُ رئيسًا لادارة ارزاقهِ العديدة مع كاهنٍ او راهبٍ آخر للمساعدة ولم يزل على تلك الحالة الى يومنا هذا

اما كنيستهُ العتيقة فلم تزل الى الآن في محلها لا يُرى منها سوى الكاتدرا الكبرى التي تقيس نيِّفًا عن مترين ونصف وقد افرغنا الجهد لنجد لها تاريخًا ما او دليلًا يُفيدنا عن ذلك فلم نحصل على شيء لتولي الخراب على المكان والغالب على ظننا ان هذه الكنيسة اقدم كنائس القرية التي لم تزل دثارًا ودمارًا ككنيسة القديسين قسطنطين وهيلانة وكنيسة القديس سمعان وكنيسة القديس توما وكنيسة القديس نقولاوس المدعوة الآن مار كوليا (اي مار نقولا) الخ وكانت صغيرةً جدًّا تقيس ثلاثة او اربعة امتار في الطول والعرض فنقلتها الرهبانية الحلبية الى غربيِّ الدير ووسَّعت

مجالها فاصبحت تحوي اهالي الراس العديدين وكان بناؤها سنة ١٨٦٠. وبعد ست سنوات اقام الرئيس العام الخوري توما قباش الرواق الذي امامها جهة الشمال ولهُ تاريخ وضعهُ لذلك حضرة الرئيس الذكور فوق الحائط محفوراً على قطعة رخام :

« بعونهِ تعالى قد تمّ هذا البناء في رئاسة الاب العام الخوري توما قباش الكلي الاحترام والاب اثناسيوس جحا رئيس دير السيدة في ٢ ايار سنة ١٨٦٦ »

وبجانب الكنيسة العتيقة صيرة الدير التي لا تخلو من المعزى والغنم خاصةً في اواخر السنة وفي شهر آب الذي فيهِ عيد انتقال السيدة عليها السلام. واما قلالي الرهبان فلم تزل على هيئتها القديمة فترى الى الآن سقفها واطئاً لا يمكن الاتصاب فيها توًّا ولها نافذة واحدة حقيرة من الخارج وواسعةٌ من الداخل بحيث يجلس فيها الراهب فيرى ولا يُرى وهذا مما يدلنا على قدمية هذا الدير ويوصلنا الى تلك الاجيال التي كان فيها يتحصّن الرهبان في اديرتهم كما واننا لحظنا باندهاش عظيم باب الدير الصغير المربّع الذي لا يكاد يتجاوز مترًا واحدًا طولًا وعرضاً وعليهِ عتبةٌ مهولة وحولهُ حجارةٌ ضخمة تدهش الابصار بكبرها

هذا ما وقفنا عليهِ من اخبار هذا الدير الحقير في مدة اقامتنا هناك غير انهُ لا ينبغي لنا ان نختم نبذتنا هذه بدون ان نذكر ما لقدس الآب العام الايكونوموس الخوري جبرائيل باسيل من الايادي البيضاء في الاصلاحات التي اجراها في الدير وفي كنيستهِ منذ ارتقائهِ الى رئاسة الرهبانية الحلبيَّة الشويرية فانهُ وسّع بعض القلالي ورفع سقفها وجعل سكناها رَحِبةً شرحةً خاصةً في فصل الصيف والربيع حتى الخريف ايضاً. اما الكنيسة فرتّبها وزينها بزينة لائقة وهو لم يزل مهتمًّا في نجاح هذا الدير واصلاحهِ فنشكر لهُ همتهُ وغيرتهُ

وفي ختام كلامنا هذا نتمنّى لدير السيدة في راس بعلبك مستقبلًا اوفق. فانهُ يصلح جدًّا لأن يُتّخذ للابتداء ولتهذيب الطلبة الذين يؤثرون الانتظام في سلك الرهبانيَّة الحلبية الشويرية وذلك لانفرادهِ وجودة مناخهِ وطيب هوائهِ ولعدم تردُّد العالمين اليهِ فاذا تمّ عمارهُ على المنوال الموافق لهذه الغاية تنمو الرهبانيَّة ويزيدُ تقدمها ونجاحها بايام غير كثيرة. واننا نرفع اكفَّ الضراعة الى العزة الصمدانيَّة ونطلب من الباري عزَّ وجلَّ هذا النموّ والنجاح وهو خيرُ مسؤول